

يُمْ تَكُونُ خِلَافَةً
عَلَى مِنْهَاجِ النَّبِيِّ

تَأْلِيفُ الدُّكْتُورِ
بَرِيكَ سَعْدِ بَرِيكَ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد،

ففي زمن اليأس والقنوط، في زمن الفساد والظلم، في زمن تسلط الكافرين على المسلمين، في زمن صولة الباطل، لا يجد المؤمن مخرجًا له ولا مهربًا إلا الكتاب والسنة .

فنجد بشرى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالخلافة على منهاج النبوة، التي تعم الأرض، وتملأها عدلا ونورا، بعد أن ملئت ظلما وجورا وظلاما .

كتبه، الفقير لعفو الله / بريك سعد بريك

الفصل الأول

مفهوم الخلافة في الإسلام وأهميتها

المبحث الأول: تعريف الخلافة

الخلافة في اللغة مأخوذة من مادة (خلف)، وهي تدل على مجيء شيء بعد شيء، فيقال: خَلَفَ فلانٌ فلانًا إذا جاء بعده وقام مقامه .

أما في الاصطلاح الشرعي، فقد عرفها الإمام الماوردي بقوله:

”الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا به .”

وعرفها شيخ الإسلام ابن تيمية بأنها:

”ولاية أمر الناس بما يحقق مصالح دينهم ودنياهم وفق كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .”

ويتبين من هذه التعريفات أن الخلافة ليست مجرد نظام سياسي، وإنما هي ولاية شرعية يقصد بها إقامة الدين، وتنفيذ أحكام الشريعة، وتحقيق مصالح الأمة .

المبحث الثاني: مشروعية الخلافة

دلت نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية وإجماع الصحابة على مشروعية إقامة الإمام الذي يجتمع عليه المسلمون .

أولاً: من القرآن الكريم

قال تعالى:

﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (البقرة: 30) .

وقال تعالى:

﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾ (ص: 26) .

وقال سبحانه:

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ (النور: 55) .

وهذه الآيات تدل على أن الاستخلاف سنة من سنن الله في عباده، وأن الغاية منه إقامة الحق والعدل .

ثانياً: من السنة النبوية

قال رسول الله ﷺ:

«كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي، وسيكون خلفاء فيكثرون.» (رواه البخاري ومسلم) .

وقال ﷺ:

«عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي.» (رواه أبو داود والترمذي وصححه الألباني) .

وهذان الحديثان يدلان على مشروعية الخلافة بعد انقطاع النبوة .

المبحث الثالث: أهداف الخلافة

تهدف الخلافة في الإسلام إلى تحقيق مقاصد عظيمة، منها:

إقامة دين الله .

تحكيم القرآن والسنة .

إقامة العدل بين الناس .

حفظ الأمن والاستقرار .

حماية بيضة المسلمين .

نشر الدعوة إلى الله .

حفظ الضرورات الخمس: الدين، والنفس، والعقل، والمال، والعرض .

المبحث الرابع: أركان نظام الخلافة

يقوم نظام الخلافة على عدة أسس شرعية، من أهمها:

البيعة الشرعية .

الشورى .

العدل .

طاعة ولي الأمر في المعروف .

محاسبة الحاكم بالوسائل الشرعية .

استقلال القضاء .

المساواة بين الرعية .

خاتمة الفصل

يتبين من هذا الفصل أن الخلافة نظام شرعي ثابت بالأدلة من القرآن والسنة، وأنها ليست مجرد نظام سياسي، بل وسيلة لإقامة الدين وتحقيق العدل، ولذلك كانت من أعظم المؤسسات التي حفظ الله بها الأمة عبر تاريخها.

الفصل الثاني

تخريج حديث «ثم تكون خلافة على منهاج النبوة» ودراسة سنده

المبحث الأول: نص الحديث

عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم يكون ملكًا عاضًا، فيكون ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعه الله إذا شاء أن يرفعه، ثم يكون ملكًا جبريًّا، فيكون ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعه الله إذا شاء أن يرفعه، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة».

ثم سكت .

المبحث الثاني: تخريج الحديث

رُوي الحديث من عدة طرق، أشهرها:

مسند الإمام أحمد .

مسند أبي داود الطيالسي .

البزار .

الطبراني .

وقد اعتنى العلماء بدراسة طرقه، وحكموا عليه بمجموع طرقه .

المبحث الثالث: حكم العلماء على الحديث

أولاً: الشيخ الألباني

صحح الحديث في السلسلة الصحيحة، وعدّه من الأحاديث الثابتة .

ثانيًا: الشيخ شعيب الأرناؤوط

حسن إسناده في تحقيق مسند الإمام أحمد، وذكر أن للحديث شواهد تقويه .

ثالثًا: عدد من الباحثين المعاصرين

ذهب كثير من المحققين إلى أن الحديث حسن لغيره أو صحيح بمجموع طرقه، وأن الاحتجاج به سائغ عند جمهور أهل الحديث .

المبحث الرابع: شرح ألفاظ الحديث

أولاً: قوله ﷺ:

«تكون النبوة فيكم»

أي زمن بعثة النبي محمد ﷺ حتى وفاته، وهي مرحلة نزول الوحي واكتمال التشريع .

ثانياً:

«ثم تكون خلافة على منهاج النبوة»

أي خلافة تسير على طريقة النبي ﷺ في العدل والشورى وتحكيم الكتاب والسنة، وقد تحقق ذلك أولاً في عهد الخلفاء الراشدين .

ثالثاً:

«ملكاً عاضاً»

قال العلماء: هو الملك الذي يقوم على التوارث مع بقاء أصل الإسلام وتحكيم كثير من أحكامه، وسمي عاضاً لتمسك أصحابه به .

رابعاً:

«ملكاً جبرياً»

هو الحكم الذي يغلب فيه القهر والاستبداد، مع تفاوت الدول والعهود في ذلك، ولا يلزم أن يكون الوصف منطبقاً بالدرجة نفسها على كل زمان أو مكان .

خامساً:

«ثم تكون خلافة على منهاج النبوة»

ختم النبي ﷺ الحديث ببشارة عظيمة بعودة خلافة راشدة على منهاجه، دون أن يحدد زمانها، ولذلك يجب الإيمان بالحديث دون الجزم بتعيين وقته أو تنزيله على أحداث معاصرة بغير دليل .

المبحث الخامس: الفوائد الحديثية

١- إثبات صدق نبوة النبي ﷺ فيما أخبر به من الغيب .

٢- بيان أن أحوال الأمم تتغير وفق سنن الله .

٣- فضل الخلافة الراشدة .

٤- وجوب التمسك بالكتاب والسنة في جميع الأحوال .

٥- أن المسلم يتلقى أخبار الغيب بالتسليم، مع تجنب التسرع في إسقاط النصوص على الوقائع دون بينة .

خاتمة الفصل

يدل هذا الحديث على مراحل عامة أخبر بها النبي ﷺ، وقد تلقاه أهل العلم بالبحث والشرح، مع التأكيد على أن الغاية منه تثبيت المؤمنين وبيان سنن الله في الأمم، وليس فتح باب الجزم بأحداث أو دول معينة بغير دليل شرعي.

الفصل الثالث

مراحل الحكم في حديث «ثم تكون خلافة على منهاج النبوة»

المبحث الأول: مرحلة النبوة

بدأت هذه المرحلة ببعثة النبي محمد ﷺ سنة (610م)، ثلاثة عشر عامًا قبل الهجرة، وعشرة أعوام بعد الهجرة، وانتهت بوفاة ﷺ سنة (11هـ). وهي المرحلة التي اكتمل فيها نزول الوحي، وترسخت فيها أصول العقيدة والعبادة والتشريع، وأقيمت أول دولة إسلامية في المدينة المنورة على أساس الإيمان والعدل والشورى.

ومن أبرز خصائص هذه المرحلة:

نزول القرآن الكريم.

عصمة النبي ﷺ في تبليغ الرسالة.

بناء المجتمع المسلم على العقيدة والأخلاق.

إقامة العدل بين الناس.

تأسيس الدولة الإسلامية.

قال تعالى:

﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ [المائدة: 3].

المبحث الثاني: الخلافة الراشدة

بعد وفاة النبي ﷺ، اجتمع الصحابة في سقفة بني ساعدة، ثم بايعوا أبا بكر الصديق رضي الله عنه، لتبدأ الخلافة الراشدة التي استمرت ثلاثين سنة، كما جاء في الحديث:

«الخلافة بعدي ثلاثون سنة، ثم يكون ملك.» رواه أبو داود والترمذي، وصححه عدد من أهل العلم.

وقد تعاقب عليها:

أبو بكر الصديق.

عمر بن الخطاب.

عثمان بن عفان.

علي بن أبي طالب.

ثم تمت الثلاثون سنة بخلافة الحسن بن علي رضي الله عنهما.

أهم خصائص الخلافة الراشدة

تحكيم القرآن والسنة .

اختيار الخليفة بالبيعة والشورى .

المساواة بين الرعية .

استقلال القضاء .

حماية الأموال العامة .

نشر الإسلام .

إقامة الحدود بالعدل .

المبحث الثالث: مرحلة الملك العاض

ذكر النبي ﷺ أن الخلافة يعقبها ملك عاض .

ومعنى "العاض" في اللغة: الملازم للشيء والتمسك به .

وفسره كثير من أهل العلم بأنه الملك الذي يغلب عليه التوارث، مع بقاء أصل الإسلام وإقامة كثير من شعائره، وإن لم يكن مطابقاً في جميع جوانبه للخلافة الراشدة .

وينبغي عند دراسة هذه المرحلة مراعاة الإنصاف، وعدم التعميم في الحكم على الأشخاص أو الدول، فإن التاريخ الإسلامي شهد تفاوتًا كبيرًا بين الحكام في العدل والإصلاح.

المبحث الرابع: مرحلة الملك الجبري

ثم أخبر النبي ﷺ بمرحلة الملك الجبري.

ويقصد به الحكم الذي يغلب فيه الإكراه والاستبداد، مع اختلاف درجات ذلك من زمن إلى آخر.

وقد شهد التاريخ الإسلامي صورًا متعددة من القوة والضعف، والإصلاح والفساد، ولا يجوز تنزيل هذا الوصف على دولة أو حاكم بعينه إلا بدليل واضح، لأن الحديث يذكر أوصافًا عامة لمراحل تاريخية.

المبحث الخامس: ثم تكون خلافة على منهاج النبوة

يختتم الحديث ببشارة عظيمة:

«ثم تكون خلافة على منهاج النبوة.»

وقد اتفق أهل السنة على الإيمان بما أخبر به النبي ﷺ، وأن ما أخبر به حق، لكنهم يؤكدون أن وقت تحقق هذه البشارة وكيفية من الغيب الذي لا يُجزم فيه إلا بدليل.

وتقتضي هذه البشارة أن يسعى المسلمون إلى إصلاح أنفسهم ومجتمعاتهم، والتمسك بالكتاب والسنة، وإقامة العدل، دون الدخول في دعاوى أو تعيينات لا تستند إلى برهان .

أهم الدروس المستفادة من الفصل

صدق النبي ﷺ فيما أخبر به .

أن الحكم في الإسلام يقوم على العدل والشورى وتحكيم الشريعة .

فضل الخلفاء الراشدين ووجوب الاقتداء بمنهجهم .

الحذر من إسقاط النصوص على الوقائع بغير علم .

التفاؤل بوعده الله مع العمل الصالح والإصلاح .

الفصل الرابع

خصائص الخلافة على منهاج النبوة في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية

المبحث الأول: تحكيم الشريعة الإسلامية

تعدُّ أولى خصائص الخلافة على منهاج النبوة الالتزام الكامل بتحكيم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ في جميع شؤون الحياة، لأن الحكم بما أنزل الله أصل من أصول الحكم في الإسلام.

قال تعالى:

﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ [المائدة: 49].

وقال سبحانه:

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء: 65].

وكان الخلفاء الراشدون يرجعون إلى القرآن والسنة في كل ما يعرض لهم من قضايا، فإن لم يجدوا نصًا اجتهدوا بعد التشاور مع أهل العلم والرأي .

المبحث الثاني: إقامة العدل

العدل هو أساس استقرار الدول، وقد جعله الإسلام من أعظم الواجبات .

قال تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل: 90] .

وقال سبحانه:

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [المائدة: 42] .

وقال النبي ﷺ:

«المقسطون عند الله على منابر من نور...»

(رواه مسلم) .

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: "لو عثرت بغلة بالعراق لسألني الله عنها: لِمَ لَمْ تُمَهِّدْ لها الطريق يا عمر؟"، وهو من الآثار المشهورة عنه في بيان عظم مسؤوليته .

المبحث الثالث: الشورى

من أهم خصائص الحكم الراشد اعتماد الشورى في اتخاذ القرارات .

قال تعالى:

﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: 159] .

وقال تعالى:

﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: 38] .

وقد كان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما لا ينفردان بالرأي في القضايا الكبرى، بل يجمعان كبار الصحابة للتشاور، وهو منهج يحقق المشاركة في الرأي ويقلل من الخطأ .

المبحث الرابع: حفظ الحقوق

من مقاصد الخلافة المحافظة على حقوق جميع أفراد المجتمع، مسلمين وغير مسلمين، وحماية الدماء والأموال والأعراض .

قال النبي ﷺ:

«إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام...»

(متفق عليه) .

وشملت هذه الحماية كذلك أهل الذمة والمعاهدين، وفق الأحكام الشرعية المنظمة لذلك .

المبحث الخامس: اختيار الأكفاء

من خصائص الخلافة الراشدة إسناد الولايات إلى أهل الكفاءة والأمانة .

قال تعالى:

﴿إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ [القصص: 26] .

وقال النبي ﷺ لأبي ذر رضي الله عنه:

«إنك ضعيف، وإنها أمانة . . .»

(رواه مسلم) .

فالمعيار في الولايات هو الكفاءة مع الأمانة، لا القرابة أو العصبية .

المبحث السادس: وحدة الأمة

تسعى الخلافة إلى جمع كلمة المسلمين على الحق، ونبذ الفرقة والتنازع .

قال تعالى:

﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: 103] .

والوحدة المقصودة هي الاجتماع على الكتاب والسنة، مع مراعاة أحكام الشرع ومصالح الأمة .

خاتمة الفصل

يتضح أن الخلافة على منهاج النبوة ليست مجرد اسم لنظام حكم، بل هي منظومة متكاملة تقوم على تحكيم الشريعة، والعدل، والشورى، وصيانة الحقوق، واختيار الأكفاء، والعمل على وحدة الأمة . وهذه المبادئ تمثل الأساس الذي قامت عليه دولة النبي ﷺ والخلفاء الراشدين .

الفصل الخامس

أبرز الشبهات حول حديث «ثم تكون خلافة على منهاج النبوة» والرد عليها

المبحث الأول: هل الحديث صحيح؟

من أكثر الشبهات إثارةً الادعاء بأن حديث «ثم تكون خلافة على منهاج النبوة» ضعيف لا يُحتج به .

الجواب: الحديث رواه الإمام أحمد في المسند، ورواه أيضاً أبو داود الطيالسي والبخاري والطبراني، وقد حسنه أو صححه عدد من أهل العلم بمجموع طرقه، ومنهم الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، كما حسن إسناده الشيخ شعيب الأرناؤوط في تحقيق

المسند. ولذلك فالحديث مقبول عند كثير من المحدثين، وإن اختلفت عباراتهم في درجته.

المبحث الثاني: هل يحدد الحديث زمن عودة الخلافة؟

يزعم بعض الناس أن الحديث يحدد زمنًا معينًا أو يشير إلى أحداث معاصرة بعينها.

الجواب: لم يحدد النبي ﷺ زمنًا لعودة الخلافة على منهاج النبوة، وإنما أخبر بوقوعها في الجملة. لذلك لا يجوز الجزم بأن دولة أو جماعة أو حدثًا معينًا هو المقصود بالحديث إلا بدليل شرعي واضح.

المبحث الثالث: هل يجوز تنزيل الحديث على جماعة أو دولة معينة؟

استدل بعض الأفراد والجماعات بهذا الحديث لإثبات صحة مشروعهم أو لإعلان قيام الخلافة.

الجواب: منهج أهل السنة هو التثبت، وعدم تنزيل النصوص العامة على الوقائع الخاصة إلا بعلم وبينة. والبشارة الواردة في الحديث لا تعطي أحدًا حق الادعاء بأنه المقصود بها دون دليل.

المبحث الرابع: هل الخلافة شرط لصحة الإسلام؟

قد يظن بعض الناس أن عدم وجود الخلافة يعني بطلان الإسلام أو سقوط أحكامه .

الجواب: هذا غير صحيح؛ فالإسلام باقٍ محفوظ بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وتبقى الفرائض والعبادات والأحكام واجبة على المسلمين في كل زمان، سواء وُجدت الخلافة أم لم توجد . والخلافة من مصالح الأمة العظيمة، لكنها لا تعني أن الدين يزول بغيابها .

نتائج البحث

بعد دراسة الحديث وما يتعلق به، توصل البحث إلى أهم النتائج الآتية:

- ١- الخلافة نظام شرعي ثابت بالأدلة من القرآن والسنة .
- ٢- حديث «ثم تكون خلافة على منهاج النبوة» حديث حسن أو صحيح بمجموع طرقه عند عدد من أهل العلم .
- ٣- الحديث يبين مراحل عامة من تاريخ الحكم في الأمة الإسلامية .
- ٤- الخلافة الراشدة هي النموذج الأكمل للحكم بعد النبوة .
- ٥- تقوم الخلافة على تحكيم الشريعة، والعدل، والشورى، وحفظ الحقوق .
- ٦- لا يجوز تنزيل الحديث على وقائع أو جماعات بعينها دون دليل .
- ٧- يجب فهم النصوص المتعلقة بأشراط الساعة ومستقبل الأمة وفق منهج أهل السنة والجماعة .

التوصيات

العناية بدراسة فقه السياسة الشرعية من مصادره الأصلية.

نشر الوعي بمنهج الخلفاء الراشدين في العدل والشورى.

الرجوع إلى العلماء الراسخين عند تفسير النصوص المتعلقة بالمستقبل.

تجنب استغلال الأحاديث النبوية في النزاعات السياسية أو الحزبية.

تعزيز الدراسات الأكاديمية التي تجمع بين علوم الحديث والعقيدة والسياسة الشرعية.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

خلص هذا البحث إلى أن حديث «ثم تكون خلافة على منهاج النبوة» من الأحاديث التي تحمل بشارة للمؤمنين، وتدعو إلى التفاؤل والعمل والإصلاح، مع الالتزام بالمنهج العلمي في فهم النصوص الشرعية، والابتعاد عن الغلو أو تنزيل الأحاديث على الوقائع بغير دليل. كما أن النموذج الذي ينبغي الاقتداء به هو ما كان عليه النبي ﷺ والخلفاء الراشدون من إقامة العدل وتحكيم الشريعة والشورى وحفظ حقوق الناس.

أهم المراجع

القرآن الكريم .

صحيح البخاري .

صحيح مسلم .

مسند الإمام أحمد .

سنن أبي داود .

سنن الترمذي .

سنن النسائي .

سنن ابن ماجه .

فتح الباري - ابن حجر .

شرح صحيح مسلم - النووي .

البداية والنهاية - ابن كثير .

السياسة الشرعية - ابن تيمية .

منهاج السنة النبوية - ابن تيمية .

الأحكام السلطانية - الماوردي .

السلسلة الصحيحة - الألباني .

تحقيق مسند أحمد - شعيب الأرنؤوط.

تفسير الطبري .

تفسير ابن كثير .

أضواء البيان - الشنقيطي .

الموافقات - الشاطبي .

تم بحمد الله

تعالى